

من الأربعين الحسيني إلى التمدن الإسلامي الجديد  
قراءة في أفق التحول الحضاري

أ.م.د. السيد عبد الكريم حسن بور  
جامعة المصطفى العالمية وجامعة الأديان والمذاهب  
[sahasnpour@yahoo.com](mailto:sahasnpour@yahoo.com)

## الملخص

أصبحت زيارة الأربعين الحسيني في العقود الأخيرة من أبرز الظواهر الدينية والاجتماعية في العالم الإسلامي، نظرًا لتّساع نطاقها البشري، وتزايد أبعادها الرمزية والثقافية، وتحوّها التدريجي إلى ظاهرة عابرة للحدود الجغرافية والطائفية. وقد فرض هذا الواقع المتنامي أسئلة معرفية جديدة حول طبيعة هذه الشعيرة، وإمكان إدماجها ضمن مشروع بناء تمدّن إسلامي معاصر.

وتنطلق هذه الدراسة من إشكالية ترتبط بإمكانات تحوّل زيارة الأربعين من شعيرة دينية شعبية إلى رافعة حضارية تدرج ضمن مشروع التمدّن الإسلامي الجديد؛ إذ يُراد فحص مدى قابليتها للاندماج في رؤية حضارية شاملة تُعنى ببناء وعي جمعيّ ونهضة إنسانية معاصرة. وترتكز فرضيّتها الرئيسة على أن زيارة الأربعين، بما تنطوي عليه من طاقات اجتماعية وروحية وتعبوية، تمثّل أحد المسارات الممكنة للتحوّل الحضاري، إذا ما فُعّلت في سياقٍ معرفيٍّ ورؤيويٍّ منسجم.

وقد توصّلت الدراسة إلى أن الأبعاد الكامنة في هذه الشعيرة، من حيث احتشادها الجماهيري، ورمزيتها القيمية، وطابعها العابر للحدود، تحمل مقوّمات مشروع تمدّني متميّز، يمكن أن يسهم في تشكيل وعيٍ جماعيٍّ رساليٍّ، وتفعيل ديناميّات التغيير في المجتمعات الإسلامية. وهذا لا يتحقّق إلا من خلال إعادة توجيه هذه الظاهرة في إطار استراتيجية حضارية متكاملة، توازن بين روحانية الشعيرة ومتطلّبات البناء المدني، وتحوّها من فعل شعبي تلقائي إلى ممارسة رسالية ذات بُعد حضاريّ طويل الأمد.

الكلمات المفتاحية: الأربعين الحسيني، التمدّن الإسلامي، التحوّل الحضاري، الشعائر الدينية، الوعي الجمعي، المشروع الحضاري الإسلامي، النهضة.

## From the Arbaeen of Imam al-Husayn to the New Islamic Civilization A Reading in the Horizon of Civilizational Transformation

Dr. Seyed Abdolkarim Hassanpour

Al-Mustafa International University and the University of Religions and  
Denominations

### Abstract

In recent decades, the Arbaeen pilgrimage of Imam al-Husayn has emerged as one of the most prominent religious and social phenomena in the Islamic world, due to its vast human scale, growing symbolic and cultural dimensions, and its gradual transformation into a phenomenon that transcends geographical and sectarian boundaries.

This expanding reality has raised new epistemic questions regarding the nature of this ritual and the possibility of integrating it into a project for building a contemporary Islamic civilization.

This study stems from a central question concerning the potential of the Arbaeen pilgrimage to transform from a popular religious ritual into a civilizational lever that can be incorporated within the project of a new Islamic civilization. It seeks to examine the extent to which this pilgrimage can be integrated into a comprehensive civilizational vision concerned with constructing a collective consciousness and fostering a modern human renaissance.

The study's main hypothesis is that the Arbaeen pilgrimage, with its profound social, spiritual, and mobilizational capacities, represents one of the viable pathways for civilizational transformation—if it is activated within a coherent intellectual and visionary framework.

The study concludes that the underlying dimensions of this ritual—its mass participation, its value-laden symbolism, and its transnational character—contain the components of a unique civilizational project. Such a project can contribute to shaping a mission-oriented collective consciousness and to activating dynamics of change within Islamic societies.

However, this can only be realized through reorienting the phenomenon within an integrated civilizational strategy—one that balances the spiritual essence of the ritual with the requirements of civic development, thereby transforming it from a spontaneous popular act into a purposeful, mission-driven practice with a long-term civilizational impact.

**keywords:** Arbaeen of Imam Hussein, Islamic Civilization, Civilizational Transformation, Religious Rituals, Collective Consciousness, Islamic Civilizational Project, Renaissance

تشكّل الحضارات لا يتمّ بمعزل عن الفاعليّات الرمزيّة والمناسبات الكبرى التي تجمع بين البُعد الروحيّ والبُعد الاجتماعيّ، وتُعيد تشكيل الوعي الجمعيّ على أساسٍ قيميّ يتجاوز الانقسامات العرقيّة والمذهبيّة والجغرافيّة. من هذا المنطلق، تبرز زيارة الأربعين الحسينيّ بوصفها ظاهرةً دينيّة - اجتماعيّة ذات طابع تعبويّ، تحمل في مضامينها ما يؤهلها للمساهمة الفعّالة في مشروع التمدّن الإسلاميّ الجديد.

إنّ المسيرة المليونيّة التي تنطلق سنويّاً من أنحاء مختلفة من العراق، ويشارك فيها الملايين من شتّى البلدان (بحسب الإحصائية الرسميّة الصادرة عن مركز كربلاء للدراسات والبحوث التابع للعتبة العباسيّة المقدّسة، بلغ عدد المشاركين في زيارة الأربعين لعام ١٤٤٦ هـ (٢٠٢٤م) ما مجموعه ٥٢٥, ٤٨٠, ٢١ زائرًا، وذلك اعتمادًا على منظومة العدّ الإلكترونيّ الذكي التي رصدت أعداد الداخلين من المنافذ الأربعة الرئيسيّة المؤدية إلى كربلاء المقدّسة. ووفقًا لبيانات الجهات الرسميّة العراقيّة، فقد بلغ عدد الزائرين العراقيين أكثر من ١٥ مليونًا، في حين قُدّر عدد الزائرين غير العراقيين بما يزيد على ٦ ملايين، تصدّروهم الزائرون الإيرانيون بأكثر من ٦, ٣ ملايين، تلاهم القادمون من باكستان، الهند، أفغانستان، تركيا، دول الخليج، وبلدان أوروبا وأفريقيا. (المصدر: موقع مركز كربلاء للدراسات): <https://c-karbala.com/content/10329?v=1> تُعبّر عن مشاعر دينيّة عميقة وتحمّس في الوقت نفسه حالة تعبئة اجتماعيّة واسعة النطاق، تتسم بمجموعة من القيم كالتطوّع، والتكافل، والانضباط الجماعيّ، والانفتاح بين المذاهب والأعراق، بما يجعلها تتجاوز الطابع الشعائريّ التقليديّ إلى بُعد اجتماعيّ فاعل.

ويظهر البعد الحضاري لهذه الظاهرة من خلال منظومتها القيمية التي تتجسد في الضيافة المجانية، وتكثيف الأنشطة الخيرية، وبناء الهياكل المجتمعية غير الرسمية، والتعامل بين مكونات الأمة بمنطق المشاركة والمحبة. كما يلاحظ تنامي الوعي التنظيمي لدى شرائح واسعة من المشاركين، في ظل غياب أي إطار رسمي مباشر يُشرف على هذه المسيرة.

تأسسًا على ما تقدّم، تسعى هذه الورقة إلى تأمل أفق التحوّل الحضاري الذي يمكن أن تُسهم فيه ظاهرة الأربعين الحسيني، من خلال رصد المؤثرات الاجتماعية، وتحليل عناصر القوة في بنيتها، والبحث في إمكانات نقلها من طقس شعائري إلى قاعدة من قواعد التمدّن الإسلامي المعاصر.

## تعريف المفاهيم

### أولاً - الأربعين الحسيني:

كلمة «الأربعين» تدلّ في اللغة العربية على العدد «أربعون» وهو عدد تامّ يُستعمل للدلالة على الكمال أو التمام في كثير من السياقات. يقول ابن فارس: «الراء والباء والعين أصلٌ يدلُّ على عددٍ معلوم» (ابن فارس، ١٩٧٩، ج ٢، ص ٤٥١). وورد في لسان العرب أنّ الأربعين تستخدم للتعبير عن استكمال مرحلة أو بلوغ غاية زمنية (ابن منظور، ١٤١٤، ج ٤، ص ٢٢٩).

وأما في الاصطلاح الشيعي، يُطلق «الأربعين الحسيني» على اليوم الأربعين من استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، حيث يُعدّ من أبرز الشعائر الدينية المرتبطة بثقافة الزيارة والمواساة، ويُحييه الملايين سنويًا من خلال المسير إلى كربلاء. وقد ورد في

بعض الروايات حثُّ على زيارتها، منها ما رواه الإمام العسكري (عليه السلام): «علامات المؤمن خمس... وزيارة الأربعين» (الطوسي، ١٤١٧، ج٦، ص ٥٢) مما يعطي الشعيرة مشروعيةً نصيةً معتبرة في التراث الإمامي.

وقد تحوّلت هذه الزيارة، ولا سيّما في العقود الأخيرة، إلى ظاهرة جماهيرية عالمية، حيث يشارك فيها الملايين من مختلف الجنسيات، وتتميّز بمظاهر فريدة من الضيافة الشعبية، والخدمة التطوّعية، والانسجام الاجتماعي. وتعدّ من أكبر التجمعات السلمية في العالم.

## ثانيا - التمدّن الإسلامي:

تُشتقُّ لفظة «التمدّن» في اللغة العربية من الجذر «مدن»، ويُراد بها الاستقرار والإقامة مكانٍ ما (ابن منظور، ١٤١٤، ج ١٣، ص ٤٠٢). أمّا مصطلح «التمدّن» أو «الحضارة» (civilization)، الذي شاع استخدامه في أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي، فقد تفرّعت حوله تعاريف عديدة لدى الكُتّاب والمفكرين، كلٌّ بحسب زاويته وتحليله. فمنهم من عرّف الحضارة بأنّها نظامٌ اجتماعيٌّ شامل يضمّ الأبعاد السياسية والاقتصادية والقانونية والتربوية في إطارٍ جغرافيٍّ واسع (آشوري، ١٣٨١، ص ١٢٨). ويُعرّفها ويليام ديورانت بأنّها «نظامٌ اجتماعيٌّ يتيح للإنسان التعاون الفعّال من أجل تحقيق الأمن وزيادة الإنتاج، ويُمهّد الطريق لقبول ثقافة مشتركة» (ويليام ديورانت، ١٣٦٥، ج ١، ص ٣). في حين يصفها لتون بأنّها «نسقٌ من الأفعال والأفكار يكتسبها أفراد المجتمع من الأجيال الأكبر سنًا، ثمّ ينقلونها إلى الأجيال اللاحقة» (ليتتون، ١٣٧٧، ص ٣).

ويرى نصير الدين الطوسي، في كتابه الأخلاق الناصرية، أن التمدن مُشتق من «المدينة»، وهي عنده البنية الاجتماعية التي يجتمع فيها الناس، ويتوزعون فيها الأعمال والمهن لتحقيق حاجاتهم المعيشية (الطوسي، د.ت، ص ٢٨١).

وفي الاستعمالات المعاصرة، غالباً ما يُنظر إلى التمدن باعتباره مرادفاً لمفهوم «المدينة» أو «الحياة المدنية» (آذرنگ، ١٣٩٠، ص ١٥).

إن لفظ «التمدن» في اللغة العربية مشتق من الجذر «مدن»، ويُفيد معنى الاستقرار والإقامة في مكانٍ ما (ابن منظور، ١٤١٤، ج ١٣، ص ٤٠٢). أما مصطلح «التمدن» أو «الحضارة» (civilization)، الذي شاع استخدامه في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد انتقل إلى اللغة الإنجليزية من الأصل اللاتيني «civis»، والذي يعني «المواطن» أو «السكن في المدينة». ويُشير هذا المصطلح، بالإضافة إلى مفهومي التمدن والسكن الحضري، إلى مظاهر التقدم والرقى في حياة المجتمعات الإنسانية.

يُشكل مفهوم «التمدن» أحد المفاهيم المحورية في الفكر الإسلامي المعاصر، ويمثل نقطة التقاء بين الحقول المعرفية المتعددة التي تحاول فهم العلاقة بين الدين والمجتمع، وبين الثقافة والحضارة. ولا يُقصد بالتمدن مجرد التقدم التقني أو العمراني، بل يُفهم باعتباره منظومة شاملة تتعلق بكيفية توضع الإنسان في التاريخ، وتنظيم علاقاته الاجتماعية والسياسية والرمزية في إطار من القيم والمعاني المستمدة من نظرتة إلى الوجود.

وفي هذا السياق، يُمكن تعريف «التمدن الإسلامي» بأنه منظومة حضارية متكاملة تستند في مرجعيتها ومنطلقاتها إلى الوحي الإلهي، وتستمد مبادئها وأسسها من تعاليم الإسلام وقيمه العليا. ويقوم على الإعلاء من شأن الإنسان بوصفه كائناً مُكرماً في أصل الخلقة، يتمتع بحقوق وكرامة لا تُقاس بانتماؤه الطبقي أو العرقي،

بل تنبع من إنسانيته التي صانها الإسلام وأكد على حُرمتها. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الحجرات/ ١٣).

ورغم نشأته في بيئة بسيطة من الناحية المادية - شبه الجزيرة العربية-، والتي كانت تفتقر إلى مؤسسات إدارية منظمة أو خبرات عمرانية متقدمة، إلا أنه استطاع، في فترة زمنية وجيزة، أن يؤسس لبنية حضارية متميزة، قائمة على المعايير الإيانية والإنسانية، ومؤهلة لتوجيه المجتمعات نحو النهوض والتقدم وفقاً للمنظومة الإسلامية (نصر، ١٣٨٤، ص ١١).

فالتمدن الإسلامي يُمثل تعبيراً عن نظام قيمي وسلوكي منبثق من تعاليم الإسلام ومقاصده العليا، ويتجسد في نمطٍ من الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، قائم على مبادئ العدل، والكرامة، والتكافل، والمعرفة، بما يحقق صلاح الإنسان والمجتمع، ويتميز التمدن الإسلامي بارتباطه الوثيق بالأبعاد الأخلاقية والروحية، خلافاً للنماذج الحديثة التي تفصل بين القيم والممارسات الحضارية. ومن هنا، فإن أي مشروع للتمدن الإسلامي لا بد أن يستند إلى قاعدة ثقافية وشعائرية تعزز الانتماء وتبني الهوية الجماعية (حسن حنفي، ١٩٩٤، ص ٧٩؛ مالك بن نبي، شروط النهضة، ص ٦٦).

## ثالثاً - التحوّل الحضاري؛

هذا المصطلح يُعدّ من المفاهيم الحديثة نسبياً في الدراسات الاجتماعية والفكرية، ويشير إلى انتقال مجتمعٍ ما من حالة ثقافية أو اجتماعية أو معرفية إلى حالة جديدة أكثر تطوراً وشمولاً. في المعاجم اللغوية، يدلّ «التحوّل» على التبدّل من حالٍ إلى حال، كما ورد في لسان العرب: «تحوّل الشيء: تغيّر وانتقل عن حالٍ إلى حال» (ابن منظور،

١٤١٤، ج ١١، ص ١٧١). وأمّا «الحضارة»، فهي كما ورد سابقاً: الحالة المتقدمة من العمران والثقافة والمعرفة التي يبلغها مجتمعٌ بشري في مجالات الحياة المختلفة.

أمّا في الاستعمال الاصطلاحي المرّكب، فإنّ «التحوّل الحضاري» يشير إلى عمليّة تراكمية ترافقها تحوّلات في البنية الثقافية والقيمية والمعرفية والسياسية لمجتمع ما، بحيث تؤدّي إلى نشوء نمط حضاري جديد. هذا النمط قد يكون رديفاً لحضارة قائمة، أو منطلقاً لتأسيس حضارة مغايرة ذات رؤية عالمية جديدة. وقد تحدّث مالك بن نبي عن هذا النوع من التحوّل بوصفه انتقالاً من «القابلية للاستعمار» إلى «القابلية للبناء الحضاري»، مشيراً إلى دور الأفكار والدين والقيم في صناعة هذا التحوّل (مالك بن نبي، ٢٠٠١، ص ٢٨-٣٢).

ويؤكّد عدد من المفكرين المعاصرين أنّ التحوّلات الحضارية لا تحدث تلقائياً، بل تتطلّب عوامل متعدّدة منها: وجود وعي جماعيّ بالهويّة والرسالة، توفرّ زخم ثقافيّ وروحيّ مشترك، وإرادة مجتمعية قادرة على التعبئة والتحمّل. ويرى طه عبد الرحمن أنّ التحوّل الحضاري الحقيقي يبدأ من إصلاح الفرد ومشروع بناء الذات، مروراً بإعادة تأسيس علاقة الإنسان بالعالم، على أساس من الأخلاق والتوحيد (طه عبد الرحمن، ٢٠١٢، ص ١١٢-١١٥).

في ضوء ذلك، يُمكن اعتبار «التحوّل الحضاري» مشروعاً تراكمياً يسهم فيه التاريخ والدين والفكر والمجتمع، ويمثّل انتقالاً من مجرد الاستجابة للتحديات إلى ابتكار رؤية متكاملة تُعيد تشكيل الوعي والواقع معاً. وفي السياق الإسلامي المعاصر، يشير هذا المفهوم إلى إعادة تفعيل مقومات الحضارة الإسلامية عبر تجارب روحية وشعائرية ذات طابع تعبويّ، مثل زيارة الأربعين الحسيني، لما تحمله من طاقة رمزية ومعنوية وشبكية مؤثّرة.

وفي هذا السياق، تُمثّل مسيرة الأربعين الحسيني واحدةً من أبرز الطاقات الكامنة في مشروع التحوّل الحضاريّ المعاصر؛ إذ تتجاوز هذه الظاهرة كونهما مجرد ممارسة شعائريّة، لتُصبح حدثاً جمعياً يستبطن أبعاداً تربويّة، تعبويّة، وأخلاقيّة يمكن توظيفها في بناء الوعي الرساليّ، وتوجيه الرأي العام نحو غايات أكبر من مجرد الإحياء العاطفيّ.

إنّ ما تمنحه الأربعين من أفقٍ مستقبليّ، يتمثّل في قدرتها على تشكيل وعيٍ حضاريّ يستند إلى مفاهيم مثل التضحية، والعدالة، والتكافل، والخروج من الذات الفرديّة نحو الجماعة الرساليّة. فالحضارة لا تقوم إلا إذا ارتكزت على حركة اجتماعيّة واعية، تمتلك رؤيةً واضحة، ومساراً منظماً، وهدفاً أخلاقياً ومصيرياً تتّجه إليه.

ومن هنا، فإنّ البناء الحضاريّ لا يكتفي بإنتاج الأنظمة والهياكل، بل يشمل إعادة صياغة السلوك الإنسانيّ، وتوجيهه نحو التزكية والنهوض، الأمر الذي يُمكن لمسيرة الأربعين أن تُسهّم فيه بوصفها ساحةً حيّةً لتجربة دينيّة جماعيّة تُنتج التحوّل في الوعي والممارسة.

وقد ناقش بعض الباحثين المعاصرين فكرة التحوّل الحضاريّ في ضوء الشعائر، معتبرين أنّ المناسبات الكبرى مثل الأربعين تمثّل لحظةً إمكانيّة لهذا التحوّل (جعفر الشيخ إدريس، ٢٠٠١).

## العوامل والمكونات التأسيسية للتمدّن

تمثّل العمليّة التمدنيّة - في منطلقها النظريّ والتطبيقيّ - مشروعاً مركّباً يتأسّس على منظومة من القيم والمفاهيم والآليات التي تُعيد صياغة بنية المجتمع على أسس حضاريّة، تُزاوج بين الهوية الدينيّة والوظيفة العمرانيّة. ولا يمكن مقارنة أيّ ظاهرة حضاريّة معاصرة، ومنها زيارة الأربعين، من دون الوقوف على المقومات التي تُشكّل القاعدة البنيويّة لأيّ تحوّل حضاريّ مستدام.

ومن هنا، فإنّ المرحلة التحليليّة الأولى تقتضي البحث في العناصر النظرية المؤسسة لصناعة التمدّن، ثمّ الانتقال إلى مظاهر تجلّي هذه العناصر في المسيرة الأربعينيّة.

### اولاً - بناء الأمة :

إنّ النهوض الحضاريّ لأيّ مجتمع لا يمكن أن يتحقّق إلّا ضمن كيانٍ جمعيّ موحدٍ ينهض بوظائف الرسالة، ويعبّر عن وحدة الهوية، وترابط المصير والمبادئ. وهذا ما يُطلق عليه في الأدبيّات القرآنيّة والاجتماعيّة بمفهوم «الأمة». فبناء الأمة لا يقتصر على إنشاء وحدة سياسيّة أو تنظيميّة، بل يشمل تأسيس رابطة وجدانيّة وعقائديّة عميقة تُوحّد بين الأفراد حول غاية أخلاقيّة ومشروع حضاريّ مشترك. وفي هذا الإطار، يشكّل الاجتماع على الإيمان والولاء محوراً مركزياً في بناء الأمة، كما يُلاحظ في نماذج قرآنيّة وتاريخيّة متعدّدة، مثل بيعة المسلمين للنبيّ ﷺ، أو في تجمّع الملايين في مسيرة الأربعين الحسيني.

ومن العناصر الفاعلة في عمليّة بناء الأمة، الشعور بالأخوة الإيمانيّة، وهو مبدأ قرآني صريح، عبّر عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات/ ١٠). فهذه الرابطة لا تقوم على أساس القرابة الجغرافيّة أو العرقيّة، بل على وحدة الإيمان والالتقاء

الرسالي، ما يجعلها قادرة على إحداث حالة من التماسك الاجتماعي والتضامن الفعال في مواجهة الأزمات. إنَّ هذا الإحساس العميق بالانتماء المشترك، حين يتفعل في الواقع، يُنتج سلوكًا جماعيًا متجانسًا، ويُسهّم في توجيه الطاقات نحو غاية واحدة.

ومن هنا، فإنَّ وحدة الأمة ليست حالة وجدانيّة عابرة، بل وظيفة قرآنيّة تأسيسيّة، أشار إليها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران/ ١٠٣)، وهي القاعدة التي تقوم عليها عمليّة البناء الحضاريّ في الإسلام.

في هذا السياق، تُمثّل مسيرة الأربعين أنموذجًا معاصرًا لتجسيد مبدأ وحدة الأمة، حيث تجتمع فيها أطيافٌ متنوّعة من الأعراق، واللغات، والثقافات، والانتماءات السياسيّة ضمن فضاء شعائريّ موحد، يعيد تشكيل العلاقة بين الفرد والمجتمع، ويكرّس مبدأ الانتماء إلى أمةٍ تتجاوز الحواجز الجغرافيّة والطائفيّة. هذه المسيرة، بما تحمله من رمزيات عاشوريّة، وطاقات شعبيّة تعبويّة، تمثّل حالة عمليّة حيّة لإعادة إنتاج الجماعة الرساليّة حول محور جامع، هو الإمام الحسين (عليه السلام)، الذي بات رمزًا للهويّة، ومركزًا لإحياء القيم، ومحركًا للوعي الجمعيّ المشترك.

ومن هذا المنطلق، فإنَّ مسيرة الأربعين لا تُعدّ مجرد تجمع شعائري، بل تُوفّر أرضيّة خصبة لبناء الأمة، شريطة توافر مقوماتها النيويّة والمعرفيّة؛ ومن أبرزها: تفعيل فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كآليّة رقابيّة ومجتمعيّة ضامنة لوحدة الاتجاه، وتعزيز الوعي الرساليّ القادر على مواجهة الانحرافات الفكرية والسلوكيّة. كما أنّ الموجات المتعاقبة من الصحوة الإسلاميّة، لا سيّما في العقود الأخيرة في المنطقة العربيّة والإسلاميّة، تُشكّل فرصةً تاريخيّة لإعادة بعث المشروع الأمميّ على أساسٍ توحيديّ، تنبع مركزيّته من واقعة كربلاء، وتستمدّ رمزيّتها من شخصيّة الإمام الحسين (عليه السلام)، بما هي مرجعيّة جامعة للهوية الرسالية والمصير المشترك.

## ثانيا - تعزيز مبدأ العدالة :

يُعدّ العدل من الركائز المركزية لأيّ مشروع حضاريّ، إذ لا يمكن بناء مجتمع متمدّن دون أن تُحترم فيه حقوق الإنسان وتُصان كرامته ويُعامل أفرادُه على قاعدة المساواة والإنصاف. فالمجتمعات التي يسود فيها الظلم والاستبداد تُفضي حتماً إلى التقهقر والانهيار، بينما تكون العدالة الشرطَ البنويّ لنهوض الأمم وتحقيق التمدّن المستدام. وقد أولى الإسلامُ هذا المبدأ اهتماماً بالغاً، وجعله من مقاصد الرسالات السماويّة، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد/ ٢٥).

لقد مثّلت نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) نموذجاً متفرداً في الدفاع عن القسط، ومقاومة الظلم، وبناء مجتمع يقوم على العدل الإلهي، لا على الاستبداد الأمويّ القائم على السطوة والتمييز الطبقيّ. وكان (عليه السلام) يؤكد أنّ الإمام الحقيقيّ هو «الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله» (المفيد، ١٤١٢، ج ٢، ص ٣٩)، أي أنّ جوهر القيادة الشرعيّة هو العدل القرآنيّ لا السلطة القهرية.

ومن هنا، فإنّ ثورته لم تكن حدثاً عابراً في التاريخ، بل كانت امتداداً لنهج النبوة في إقامة الحقّ والعدل، كما جاء في قول الإمام الصادق (عليه السلام): «الْحُسَيْنُ ... وَارِثُ نُوحٍ نَبِيِّ اللَّهِ ... وَارِثُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ... وَارِثُ مُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ ... وَارِثُ عِيسَى رُوحِ اللَّهِ ... وَارِثُ مُحَمَّدٍ حَبِيبِ اللَّهِ» (الصدوق، ١٣٥٦، ص ٣٢٢). ووراثه الأنبياء هنا، تعني وراثته المشروع الإصلاحيّ التغييريّ الذي يهدف إلى إقامة ميزان القسط بين الناس، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد/ ٢٥).

وقد تجلّت معاني العدل في نهضة كربلاء من خلال مساواة الإمام بين أنصاره، والتفاف الناس من مختلف الأنساب والمشارب حول مبدأ جامع لا يفرق بين عبد وحرّ، ولا بين عربيّ ومولى، بل يتّحد الجميع تحت راية الدفاع عن المظلوم ومواجهة الجور.

واليوم، تُعيد مسيرة الأربعين إحياء هذه القيم وتفعيلها في الواقع الاجتماعيّ، إذ تتحوّل من مجرد تظاهرة شعائريّة إلى فضاء حواريّ عالميّ، يتلاقى فيه المؤمنون على مشروع الإمام الحسين (عليه السلام) إلى العدالة والإصلاح والسلام. إنّ الملايين الذين يسرون في درب الأربعين، إنّما يعلنون انتماءهم إلى نهج يرفض الظلم، ويدعو إلى إعادة بناء المجتمع الإنسانيّ على أساس التكافؤ الحقوقيّ والمعنويّ، ويتخذ من الإمام الحسين (عليه السلام) رمزاً عالمياً لقضية الإنسان ضدّ الاستبداد والطغيان.

ومن هنا، تُجسّد زيارة الأربعين الحسينيّي حضوراً رسالياً نابضاً يعبر عن الإصرار على تحقيق العدالة في واقع الإنسان المعاصر، انطلاقاً من رؤية حضاريّة تقوم على توازن القيم وترسيخ المبادئ، وتواجه منطق القهر والاستبداد بمنطق الحقّ والكرامة.

### ثالثاً - الصبر والمقاومة أمام التحديات:

تعدّ الاستقامة في مواجهة المحن، والصبر في وجه التهديدات، من اللبّات الأساسيّة في بناء الحضارات الراسخة. فليست المجتمعات المتمدّنة تلك التي تخلو من التحديات، بل التي تُحسن إدارتها وتحويّلها إلى محفّزات للنهوض والبناء. وقد ركّز القرآن الكريم على هذه القاعدة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء/ ١٠٤). أي إنّ الفرق الجوهريّ ليس في وجود الألم، بل في مصدر الرجاء ودفاعيّة الاستمرار والمقاومة. فالمجتمع الرساليّ لا يستسلم للابتلاء، بل يستند إلى أفقٍ توحيديّ يحرّكه الأمل في الله والوعي بالغاية.

ومن هذا المنطلق، كانت نهضة الإمام الحسين عليه السلام من أبرز النماذج التي جمعت بين الرفض الواعي للطغيان، والصبر الرساليّ في مقاومة الباطل. لقد كان هدفه الأساسي إحياء روح المقاومة في وجه الانحراف والظلم، كما عبّر عن ذلك في خطبه ومواقفه المتكرّرة. ولم تكن مقاومته مجرد موقف عسكريّ، بل مشروعاً ثقافياً وأخلاقياً يُعيد صياغة العلاقة بين المؤمن والظلم، ويغرس في الوجدان الجماعيّ ثقافة الصبر الواعي والثبات الواعي.

وقد أدرك أعداء الحقّ منذ البداية خطورة هذه الثقافة، فسعوا إلى تشويه الشعائر الحسينيّة، وإفراغها من محتواها التعبويّ، وتحويلها إلى طقوسٍ منفصلة عن الواقع. إلّا أنّ أربعين الحسين عليه السلام أعادت لهذه الشعائر معناها الرساليّ، وأثبتت أنّ الحداد يمكن أن يكون سلاحاً، والعزاء يمكن أن يتحوّل إلى فعل مقاومة وبناء. وكان الإمام عليه السلام رغم عظمة المصيبة، يحرص على تثبيت قلوب أهله وأصحابه بالصبر والتوكل، كما في وصيّته لأخته زينب عليها السلام: «إيهاً يا أختها! إنّقي الله، وتّعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون وأنّ أهل السماء لا يبقون» (المقرّم، ١٤٢٦، ص ٢١٧).

فهذا النوع من التوصية لم يكن مجرد تعزية وجدانيّة، بل كان منهجاً في صناعة الإنسان الرساليّ الذي لا تزغعه المصائب، ولا تهزّه الضغوط. وقد ظهرت آثار هذا المنهج بوضوح في يوم عاشوراء، حيث لم يُر من نساء أهل البيت أو أطفالهم ذلٌّ أو خضوع، بل كان الحزن محفوراً بالعزّة، والمأساة مكلّلةً بالكرامة. فصبرهم لم يكن صبراً سلبياً، بل قوّة خلاقّة تستمدّ معناها من الإيثار والموقف.

وهكذا، فإنّ المسيرة الحسينيّة ومسيرة الأربعين معاً تمثلان ترجمة حيّة لهذا الصبر الواعي والمقاومة الحضاريّة، وتشكّلان أرضيّة رمزيّة لبناء مشروعٍ مقاومٍ ضدّ ثقافة التواطؤ والخضوع، ولتحويل الأمل الجمعيّ إلى طاقةٍ تمدنيّة تصنع المستقبل.

## رابعاً - الفكر الإصلاحى :

من الثوابت الأساسية في أيّ مشروع حضارى أصيل، أن تكون له قدرةٌ تجديديةٌ تُقاوم السكون، وتُعيد تصويب مسار المجتمع إذا انحرف عن القيم والمقاصد العليا. ومن هنا، يُمثّل الإصلاح عاملاً بنوياً في بناء الحضارات الحيّة، إذ لا يمكن تصوّر تمدّنٍ متجدّدٍ دون مراجعة نقديةٍ داخليةٍ، وإرادةٍ إصلاحٍ واعيةٍ تُفعل مكامن القوة، وتستأصل منابع الانحراف والتآكل.

وقد رسّخت المنظومة الإسلامية هذا المفهوم في مستوياتها المختلفة، بدءاً من إصلاح الذات، ومروراً بإصلاح البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ووصولاً إلى الإصلاح العالمى في آخر الزمان. وجاءت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجسيداً لمبدأ الرقابة القيمية في البناء الاجتماعى، ومنظومةً لحماية الوعي العام من الاستسلام للفساد والظلم.

وقد أبرز الشهيد مرتضى مطهري هذا البعد الحضارى للإصلاح بقوله: «الإصلاحات الجزئية والبطيئة تُمثّل دعماً لحركة الإنسان الباحث عن الحقّ، وتُسرع من وتيرة حركة التاريخ لصالح أهل الحقّ، في حين أنّ الفساد والانحلال والفسق تُبطئ من هذا المسار، وتُضعف جبهة الحقّ» (مطهري، ١٣٩٠، ج ٢٤، ص ٤٢٨).

وهذا يعني أنّ الإصلاح يُمثّل ضرورةً أخلاقيةً ووظيفةً تاريخيةً في آنٍ واحد، تُسهّم في تحفيز حركة الأمة نحو النهضة، وتسريع ديناميات التحوّل الحضارى في اتجاهاتٍ إيجابيةٍ مستندةٍ إلى القيم.

وفي هذا الإطار، تُعدّ نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) ذروة الممارسة الإصلاحية في التاريخ الإسلامى، حيث أعلن (عليه السلام) صراحةً في وصيته الخالدة: «إنّها خرجتُ لطلب

الإصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهاى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي» (المجلسي، ١٩٨٣، ج ٤٤ ص ٣٢٩؛ ابن شهر آشوب، ١٩٩١، ج ٤، ص ٨٩).

ويمثل هذا البيان إعلاناً صريحاً لمرتكزات المشروع الحسيني، حيث يُعيد رسم خارطة الطريق للإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي في المجتمع الإسلامي. ويُقدّم في الوقت نفسه أساساً معرفياً ومنهجياً متكاملًا لتجديد الهوية الدينية على ضوء مقاصد الوحي، وتوجيه البنية الاجتماعية نحو العدالة والوعي، وتصويب المسارات السياسية بما ينسجم مع القيم العليا، فضلاً عن إحياء المرجعية الأخلاقية والقيمية في الفضاء العام، بوصفها عنصرًا حاسمًا في نهضة المجتمعات.

وقد ارتكز الإصلاح الحسيني على إحياء رسالة النبوة وتجديد روح الشريعة، من خلال معالجة جذرية للانحرافات العقائدية والسياسية التي واجهها المجتمع الإسلامي آنذاك. وبفضل هذا البُعد العميق، اكتسبت الثورة الحسينية طابع الخلود، وأصبحت مرجعًا دائمًا يُلهم عمليات المراجعة الذاتية، ويُرسخ التمسك بالأصول الرسالية في مواجهة التحوّلات والتحديات المتجدّدة.

وتُعدّ زيارة الأربعين من الشعائر المركّبة ذات الوظيفة المزدوجة، إذ تجمع في بُنيتها بين التفاعل العاطفيّ الوجدانيّ العميق مع فاجعة كربلاء، وبين الحضور الرساليّ الذي يُعيد إحياء أهداف الثورة الحسينية ومبادئها الإصلاحية. فالعاطفة الدينية المتولّدة من استذكار المأساة تتجاوز حدّ التأثير إلى المساهمة الفاعلة في تعبئة الشعور الجمعيّ وتحفيز الإرادة على التغيير، وفي الوقت نفسه تؤدّي هذه الشعيرة وظيفة تجديد العهد والميثاق السنويّ مع القيم التي استشهد من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام)، وعلى رأسها: مقاومة الظلم، والانحراف، والاستبداد، والدعوة إلى إقامة العدل، والتمسك بالأصالة الرسالية. ومن خلال هذا الحضور المتكرّر

والمليونيّ، تتحوّل زيارة الأربعين إلى مناسبة سنويّة لإحياء الوعي الجماعيّ، وتنشيط المسؤولية الأخلاقية، وتوطيد الانتماء إلى المشروع الحضاريّ الإسلاميّ الذي يمثّله الإمام الحسين وأهدافه الخالدة.

فالمشاركة في هذه المسيرة، بما تحمله من شعور بالانتماء الجماعيّ، وتأكيد على سيرة الحسين الإصلاحية، تُفعل وظيفة الشعائر الدينية في الوعي العام، وتحوّلها إلى ممارسة حضارية تعبويّة تُنتج وعياً جماعياً رسالياً يتجاوز الحدث التاريخي، إلى مواجهة التحديات المعاصرة.

وقد أكد الإمام الحسين (عليه السلام) هذه الوظيفة المستدامة في كلماته ومواقفه، فجعل الإصلاح غاية حركته، وجعل من شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معياراً للجدارة الدينية والسياسية، ودعامة في تمييز الحاكم الحقّ من الجائر.

وما تشهده المجتمعات الإسلامية اليوم، من ارتباط وجدانيّ عميق بالحسين (عليه السلام)، ليس مجرد انفعال وجدانيّ، بل هو تجسيد لحاجة الأمة المتواصلة إلى مشروعٍ إصلاحيّ أصيل، تُعيد فيه قراءة الواقع، وتبحث عن سبل الخلاص من التبعية والانحراف، في ضوء مدرسة كربلاء.

ولهذا، يُمكن القول إنّ زيارة الأربعين باتت تمثّل في أبعادها العميقة منصّة سنويّة لتجديد المشروع الحضاريّ الإسلاميّ على أساس الإصلاح، وميزاناً لصدق الالتزام بهذا النهج في السلوك الفرديّ والجماعيّ.

## خامسا - التعبئة الاجتماعية وبناء الوعي الجماعي:

تُعتبر التعبئة الشعبية إحدى الركائز الأساسية في بناء الحضارات وتحوّل المجتمعات من حالة الركود إلى الفاعلية التاريخية. وتُعدّ الحضارة نتاجاً مركّباً من التفاعل بين

الطاقات المادّية والقيم الروحيّة، حيث يُقاس نضجها بمدى قدرة المجتمع على توجيه إمكانيّاته الجماعيّة نحو مشروع جامع ذي أفق إنسانيّ وأخلاقيّ. وفي هذا السياق، تتجلى التعبئة الاجتماعيّة بوصفها إحدى الآليّات الحيويّة التي تُفعل الوعي الجمعيّ، وتنظّم المشاركة الشعبيّة في مسار التحوّل الحضاريّ المستند إلى المبادئ والمقاصد العليا.

وقد أوضح عالم الاجتماع المعاصر تشارلز تيلي أن التعبئة تعبّر عن عمليّة تحوّل الأفراد من كونهم مجموعات متفرّقة وسليبيّة إلى قوّة اجتماعيّة فاعلة ومنظمة تُشارك في الحياة العامّة وتُعيد تشكيل المجال السياسيّ والاجتماعيّ (تيلي، ١٣٨٥، ص ١٠٤). من هنا، لا يمكن لأيّ مشروع حضاريّ أن يُحقّق أهدافه دون خلق حالة من الاستنفار الشعبيّ الواعي، وهيئة البنى الحاضنة للمشاركة العامّة في عملية التغير والبناء.

في هذا الإطار، تُمثّل مسيرة الأربعين مثلاً حيّاً وملموساً على هذه التعبئة الحضاريّة، إذ تُشارك فيها جموع غفيرة من المؤمنين من مختلف الطبقات والمكوّنات والأقطار، ضمن حركة شعائريّة منضبطة تُجسّد إرادةً جماعيّة واعية. هذه المشاركة الجماهيريّة لا تقتصر على الفعل الدينيّ، بل تنطوي على مظاهر التكافل، والتنظيم الذاتيّ، وتحقيق الانضباط الطوعيّ، ممّا يجعلها تجربةً عمليّة في تحويل الشعائر إلى منصّة لبناء الهوية المشتركة وتعزيز روح التضامن الاجتماعيّ والرساليّ.

وقد أكّد القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران/ ١٠٣)، مشيراً إلى أنّ الوحدة والاعتصام الجماعيّ بالقيم الإلهيّة يشكّلان أساس البنية الحضاريّة السليمة. فكلّما تمكّنت الجماعة من تجاوز التفرّق والأنانيّة نحو التوحّد حول القيم، كانت قادرة على مواجهة التحدّيات وبناء مشروعها الرساليّ بتماسك وفاعليّة.

وفي ضوء هذه المعطيات يُمكن اعتبار التعبئة التي تُنتجها مسيرة الأربعين عاملاً فاعلاً في توجيه البنية الاجتماعية نحو التغيير، ليس فقط في المستوى الديني أو الشعائري، بل أيضاً في المستوى الحضاري الأوسع، بما يشمل إعادة تعريف العلاقة بين الفرد والجماعة، وتعزيز ثقافة الانتماء، والمسؤولية، والمشاركة في بناء مستقبل يتأسس على العدل والقيم الإنسانية العليا.

### الطاقات الحضارية لمسيرة الأربعين الحسينية

إن نشوء الحضارات الكبرى في التاريخ لم يكن يوماً وليد مصادفة أو فعل فجائي، بل كان دوماً نتيجة لتحوّلات ثقافية عميقة تُعيد تشكيل بنية الوعي الجمعي، وتُهدد لتأسيس نمط جديد من الحياة يقوم على منظومة متكاملة من القيم والمعاني المشتركة. فالثقافة، بوصفها حاضنة الهوية الجماعية ومنظومة القيم والتصورات والممارسات، تُشكّل الركيزة الأولى التي يقوم عليها البناء الحضاري. وبحسب بعض المفكرين، فإنّ الثقافة لا تُحرك التاريخ فحسب، بل تُشكّل معايير التمييز بين الحضارات، وتُحدّد زاوية النظر الإنساني إلى أيّ تجربة حضارية (إبراهيم نژاد، ١٣٩٦، ص ٢٣)

في المقابل تُجسّد الحضارة بوصفها تجلياً مادياً ومنظماً للثقافة، المجال الذي تنتشر فيه القيم والمعاني وتتجسّد في الواقع الاجتماعي من خلال المؤسسات والأنماط السلوكية والبنى العمرانية. فالحضارة لا تكون مزدهرة إلا إذا كانت الثقافة التي تستند إليها قادرة على التحفيز، والتعبئة، وبثّ الحيوية في مفاصل المجتمع.

ضمن هذا الأفق التبادلي بين الثقافة والحضارة، تُعتبر مسيرة الأربعين الحسينية تجربة شعائرية تعبوية تتضمن طاقات ثقافية هائلة، من شأنها أن تُفعل الوعي الحضاري لدى الأمة، وتفتح أمامها أفقاً جديداً في تشكيل مشروع التمدن

الإسلامي المعاصر. فهذه المسيرة، التي تتكرر سنويًا بمشاركة ملايين الزائرين من مختلف البلدان، تمثل ساحةً مفتوحة للتفاعل الإنساني والتلاقح الثقافي، وتتجلى فيها أرقى مظاهر الإيثار والتكافل والانضباط والخدمة والمحبة.

إنّ المظاهر التي ترافق مسيرة الأربعين من الاحترام المتبادل، وتحمل المشقة، وتقديم الخدمات المجانية، والعيش المشترك، والتطوع الجماعي، وتجاوز الحواجز اللغوية والمذهبية والعرقية. ليست مجرد أفعال عاطفية، بل تُعبّر عن نظام متكامل من القيم الإنسانية النبيلة التي تقوم على حبّ الله وأوليائه، وخدمة الإنسان، والانفتاح على الآخر. وهذه العناصر، بحسب الباحثين في فلسفة الحضارة، تُشكّل جوهر التحوّل الحضاري الحقيقي، لأنّ التحوّلات الكبرى تبدأ عادةً من إعادة تشكيل نظام الميول والعواطف والذوق الجمالي في المجتمع (جمالي، ١٣٩٥، ص ٣٨).

ففي النموذج الحدائثي، يتمحور الذوق الجمعي حول حبّ الذات والمصلحة والمنفعة، بينما في نموذج الأربعين نلاحظ هيمنة حبّ الآخر، والتضحية، والارتباط بالقيم العليا. ومن هنا، يُمكن اعتبار الأربعين فرصةً نوعيةً لإعادة بناء الحسّ الجمالي الجمعي على أسسٍ دينية وروحية، تمهّد لتشكيل إنسانٍ حضاريّ متوازن.

وعلاوةً على ذلك، تُقدّم مسيرة الأربعين الإسلام بوصفه قوةً حيّةً وفعالة في إنتاج المعنى، وبناء الهوية، وتنظيم المجال العام، لا كمنظومة مغلقة تقليدية. فهي تُعيد وصل الدين بالواقع، وتُبرز طاقاته في بناء الوحدة، وتحقيق المشاركة، وتفعيل القيم، وتجديد الخطاب، وإحياء الوعي التاريخي المرتبط بالمقاومة والتحرّر.

تجدد الإشارة إلى أنّ مسيرة الأربعين تُجسّد طقسًا عباديًا عميقًا من جهة، ومن جهة أخرى تُشكّل منصّة حضارية حيّة تتقاطع فيها الطاقات الشعبية والرمزية

والسياسية والثقافية. ولهذا، فإنها تمثل فرصة فريدة لتفعيل مشروع التمدن الإسلامي الجديد، على أن ترافق برؤية علمية وثقافية واستراتيجية مؤسسية متكاملة، تضمن انتقالها من مجرد فعل موسمي إلى ممارسة بنائية مستدامة ذات بُعد رسالي. وبناءً على ما تقتضيه حدود هذه الدراسة من تركيز وانتقاء، سيتم تناول اثنين من أبرز الطاقات الحضارية الكامنة في ظاهرة الأربعين، بوصفها نموذجين دالين على إمكانية توظيف هذه الشعيرة في مشروع التمدن الإسلامي المعاصر، مع التأكيد على أن مجالات البحث في هذا الموضوع أوسع مما تسمح به هذه الورقة.

#### أولاً : تحقيق مفهوم الأمة في إطار وحدة القيادة والهدف :

تعد زيارة الأربعين واحدة من أبرز الشعائر الدينية التي تحمل في طبيعتها بعداً عابراً للحدود، وهو ما يكسبها قدرة فريدة على الإسهام في تهئية الأرضية الثقافية والروحية لتجسيد مفهوم «الأمة الواحدة». ومن أبرز ملامح هذا البعد أن هذا الحدث المليوي السنوي يُعيد تشكيل الحشود المشاركة ضمن بيان أممي موحد، ولو في صورة ظرفية ومؤقتة؛ إذ يتحرك ملايين الزوّار، القادمين من أرجاء مختلفة من العالم، باتجاه واحد، وغاية واحدة، تحت راية واحدة، وبقيادة رمزية واضحة.

والثير في هذا النموذج الجماهيري أنه يحدث في ظروف أمنية هشة نسبياً، ورغم ذلك، تُقام المسيرة بكامل الأمن والانضباط، وهو ما يُثير تساؤلات عميقة عن سر هذا التنظيم الاجتماعي الذاتي، في وسط إقليمي مليء بالتوترات السياسية والتهديدات الأمنية. ويُلاحظ أن هذه الحشود تضم أفراداً من مشارب ثقافية، ولغوية، ووطنية مختلفة، يسرون جنباً إلى جنب، دون سابق معرفة، ضمن منظومة تعبوية تتجاوز الانتماءات الضيقة، وتشير إلى إمكانية بناء أمة عابرة للحدود (طاهر زاده، ١٣٩٠، ص ٥٨).

تتميز هذه الظاهرة الدينية بمشاركة واسعة من مختلف الأطياف الدينية والمذهبية، حيث يحضر فيها المسلمون الشيعة والسنة، إلى جانب أتباع ديانات أخرى كالمسيحية والإيزيدية والزرادشتية، سواءً كزوّارٍ أو خدامٍ للزوّار، في مشهدٍ تعبيريّ فريد عن الانفتاح والتعايش والتكافل الإنسانيّ. وهذا يشي بأنّ الحسين (عليه السلام) بات يُمثّل رمزاً إنسانياً عالمياً للحرية والتضحية، يتجاوز الحواجز الطائفية والهوياتية.

وهكذا، يُمكن القول إنّ الأربعين تُعيد استحضار الهوية الأُمّية الجامعة، بوصفها نمطاً حياً من الوحدة الإسلامية، وامتداداً لثقافةٍ تستمدّ جذورها من التاريخ، وتُجسّد نفسها اليوم في وجه الهيمنة الثقافية الغربية، لتُعيد بثّ الشعور بالانتماء إلى أُمَّةٍ واحدة.

وقد كان لهذا الانتماء جذوره العاطفية والعقائدية العميقة؛ فمحبّة الإمام الحسين (عليه السلام) شكّلت عاملاً محوريّاً في صياغة هذا الاجتماع الكبير، كما ورد في الحديث الشريف: «إِنَّ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ حَرَارَةً فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَدًا» (النوري، ١٤٠٨، ج ١، ص ٣١٨).

ومن هذا المنطلق، يُمثّل هذا الاجتماع المليونيّ أنموذجاً حياً لتجليّ فكرة «الأُمَّة الإسلامية» في الواقع، من خلال ما يحمله من مؤشراتٍ على قابليته للمساهمة في مشروع التمدّن الإسلاميّ الجديد.

## ثانياً - صحوة المسلمين وترسيخ خطاب مناهضة الاستكبار:

تُعدّ الصحوة الإسلامية من أبرز التحوّلات المعاصرة في العالم الإسلامي، حيث عبّرت عن توق الشعوب إلى التحرّر من هيمنة الاستبداد الداخليّ والاستكبار العالميّ،

وعن رغبتها في استعادة الهوية الدينية الأصيلة وتفعيل حضور القيم الإسلامية في الحياة العامة. ومن هذا المنطلق، تكتسب زيارة الأربعين أهمية خاصة بوصفها إحدى الظواهر التي تجسّد هذا الوعي الجمعيّ المتنامي، وتُسهم في تعزيزه من خلال تجديد الارتباط بالنهضة الحسينية، التي شكّلت منذ انطلاقتها منبعاً أساسياً للإيقاظ الدينيّ والاجتماعيّ والسياسيّ في الوجدان الإسلاميّ.

وقد ورد في نصّ «زيارة الأربعين» تبيانٌ واضح لهدف هذه الإمام الحسين [إذ يُقال فيها: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة» (القمي، ١٤٣١، ص ٢٤٩). وهذه العبارة تعبّر عن طبيعة المشروع الحسيني بوصفه حركة اصلاحية لتحرير العقول من الجهل والضلالة، وإنقاذ النفوس من الانحراف، وبناء مجتمعٍ واعٍ متجذّر في الهداية الإلهية.

أمّا في السياق المعاصر، فقد تحوّلت الأربعين إلى مظهرٍ فعّال من مظاهر الحراك الثقافيّ المقاوم، حيث أصبحت شعاراً رمزياً للحرية والكرامة، ومنصّة لتجديد العهد على رفض الظلم والطغيان. إنّ حضور الملايين من الزائرين في هذا المسير السنويّ، تحت شعار الولاء لسيد الشهداء (عليه السلام)، إنّما يمثّل تجسيداً حيّاً لثقافة المقاومة والصمود. ولا يخفى أنّ هذا التجمّع الجماهيريّ يُثير الدهشة في أوساط المراقبين، نظراً لما يتّسم به من انضباط، وتنظيم، وسلويّة، رغم التحديات الأمنية والاختلافات العرقية والمذهبية. وقد أشار بعض الباحثين إلى أنّ ثقافة عاشوراء والأربعين قد شكّلت مرجعية لحركات التحرّر في العصر الحديث، حيث أضحت مفاهيم الجهاد والشهادة والمقاومة جزءاً من الوعي الجمعيّ، وأدوات لإلهام الشعوب في مواجهة الاستعمار والاستكبار (طاهرزاده، ١٣٩٠، ص ٥٨).

يحمل هذا الحراك طاقاتٍ تحويليةً عميقة تتجلى في قدرة كلِّ مشاركٍ على أن يصبح عنصرًا فاعلاً في البناء الحضاريِّ، من خلال تبني قيم الحرية والعدالة والكرامة. ويتخذ شعارُ البراءة من الظالمين والولاء للمظلومين موقعًا مركزيًّا في تشكيل الهوية التي تعبر عنها زيارةُ الأربعين، ممَّا يُكسب هذه المناسبة بُعدًا عالميًّا يتجاوز الاعتبارات الجغرافية والمذهبية.

وفي هذا الإطار، تُبرز المشاركة الواسعة في الأربعين قدرات الأمة الإسلامية على التعبئة المدنية السلمية، والتحدّي الرمزي لقوى الهيمنة والاستكبار. وقد أضحت هذه المسيرة مصدر قلقٍ حقيقيٍّ للدوائر المعادية للإسلام الأصيل، التي تسعى إلى تشويهه أو تحجيم هذه الظاهرة، إدراكًا منها لأثرها التعبويِّ والوجدانيِّ في إحياء روح الرفض والوعي الجمعيِّ المقاوم.

## الخاتمة والإستنتاج

تُعدّ مسيرة الأربعين ظاهرةً دينيةً واجتماعيةً بارزة في العالم الإسلاميّ، بل تتجاوز ذلك إلى الفضاء الدينيّ العالميّ، باعتبارها تعبّر عن منظومة من المبادئ والقيم التي تأسس عليها نهج الإمام الحسين عليه السلام وثورته الخالدة. ومن هذا المنطلق، سعت هذه الدراسة إلى تحليل أبعاد هذا الحدث بمنهج علميّ، للكشف عن طاقاته الكامنة في مسار التحوّل الحضاريّ وبناء التمدّن الإسلاميّ المعاصر.

لقد كانت الثورة الحسينية من أعظم وقائع التاريخ البشريّ، لما انطوت عليه من دلالات أخلاقية وإنسانية وروحية. وقد أثبتت التجربة التاريخية لمسيرة الأربعين أنّ هذه المناسبة تمتلك من الإمكانيات التعبوية والرمزية والاجتماعية ما يؤهلها للاضطلاع بدورٍ تأسيسيّ في مشروع التمدّن الإسلاميّ الجديد. إنّ استحضار مفاهيم كالوحدة الإسلامية، والعدالة، ومقاومة الاستكبار، ونقد البنى الرأسمالية، يمثل جانباً من المكونات القيمة لهذه المسيرة العالمية.

وفي هذا الإطار، تبين أنّ الشعائر الكبرى، كالأربعين، يُمكن أن تتحوّل إلى منصات فاعلة في إنتاج الهوية الجمعيّة، وتعزيز الوعي الإسلاميّ، وتهيئة الأرضية لقيام أمةٍ موحّدةٍ تركز إلى الإرادة الشعبيّة والمبادئ الرسالية. ومن هنا، تُعدّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام نقطة تحوّلٍ حضاريّ يمكن أن تستلهم منها المجتمعات الإسلامية معالم الطريق نحو بناء تمدّنٍ قائمٍ على العدل والكرامة والمقاومة الثقافية.

فمسيرة الأربعين، بما تحمله من حشدٍ بشريّ غير مسبوق، تُبرز الطابع العالميّ للإسلام المحمديّ الأصيل، وتُسهم في إعادة صياغة الوعي الجماهيريّ حول قضايا كبرى كالهوية، والاستقلال، ومواجهة الظلم. وهي بذلك تمثل فرصة تاريخية لنقل رسالة الإسلام الحسينيّ إلى العالم، وتفعيل منظومة القيم في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة.

١. القرآن الكريم
٢. ابراهيم نژاد، محمد رضا (١٣٩٤). واكاوی مفهوم تمدن نوین اسلامی با رویکرد معنا شناختی، دوفصلنامه پژوهش های تمدن نوین اسلامی، ش ١.
٣. ابن شهر آشوب، محمد بن علی (١٩٩١). مناقب آل أبي طالب عليه السلام، بيروت، دار الأضواء.
٤. ابن فارس، أحمد بن زكريا (١٩٧٩). معجم مقاييس اللغة، بيروت، دارالفكر.
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٤١٤). لسان العرب، بيروت، دارالتراث العربي.
٦. آذرننگ، عبدالحسين (١٣٩٠). تاريخ تمدن، تهران، كتابدار.
٧. آشوري، داريوش (١٣٨١). تعريف و مفهوم فرهنگ، تهران، آگه.
٨. توسی، موريزيو (١٣٧٧). تنوع های فرهنگی و منشا تمدن های اوليه، چيستی گفتگوی تمدن ها، مجموعه مقالات، تهران، سازمان مدارک فرهنگی انقلاب اسلامی.
٩. تيلي (١٣٨٥)، چارلز، از بسيج تا انقلاب، مترجم: علی مرشدي زاده، تهران، انتشارات پژوهشکده امام خميني (ره)
١٠. جعفر الشيخ إدريس، ٢٠٠١، الإسلام والتحول الحضاري، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، العدد ١٤، ص ٤٥.
١١. جمالي، مصطفى (١٣٩٥). نقش اربعين در مهندسی تمدن اسلامی، مسجد و مهدويت، پاییز و زمستان، شماره ٢، ص ٢٧-٤٦.
١٢. الجوهری، اسماعيل بن حماد (١٣٧٦). الصحاح اللغة، بيروت، دارالعلم للملایين.
١٣. حسن حنفي (١٩٩٤)، التراث والتجديد، بيروت، دار الفكر.
١٤. دورانت، ویلیام جيمز (١٣٦٥). درآمدی بر تاريخ تمدن، ترجمه احمد بطحایی، تهران، انتشارات انقلاب اسلامی.
١٥. الصدوق، جعفر بن محمد (١٣٥٦)، كامل الزيارات، دار المرتضوية، النجف الأشرف.

۱۶. طاهرزاده، اصغر (۱۳۹۰). اربعین حسینی؛ امکان حضور در تاریخی دیگر، اصفهان، لب المیزان.
۱۷. الطوسی، خواجه نصیر الدین (د.ت). اخلاق ناصری، تهران، امیرکبیر.
۱۸. الطوسی، محمد بن حسن (۱۴۱۷). تهذیب الأحكام، طهران، مكتبة الصدوق.
۱۹. طه، عبدالرحمن (۲۰۱۲)، كتاب روح الدين من ضيق العلمانية إلى سعة الاثمانية، دار البيضاء - المغرب.
۲۰. القمي، شيخ عباس (۱۴۳۱). نفس المهموم، نجف، المكتبة الحيدريه.
۲۱. لنتون، رالف (۱۳۳۷). سير تمدن، ترجمه پرويز مرزبان، تهران، تابان.
۲۲. مالك بن نبي (۲۰۰۱)، شروط النهضة، دار الفكر، بيروت، ط ۱۲.
۲۳. المجلسي، محمد باقر (۱۹۸۳). بحار الأنوار، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
۲۴. مطهری، مرتضی (۱۳۹۰). مجموعه آثار شهيد مطهری، تهران، صدرا.
۲۵. المفيد، محمد بن محمد (۱۴۱۲). الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، مؤسسة آل البيت (ع).
۲۶. مكرم، السيد عبدالرزاق (۱۴۲۶). مقتل الحسين، بيروت، موسسه الخرسان.
۲۷. موسوی، سيد محمد وديگران (۱۳۹۵). تأثیر برگزاری مراسم پياده روی اربعین حسینی در کشور و افزایش شور و اشتیاق بين مردم و بخصوص نوجوانان و نقش سازنده آن بر روی تربیت نسل ارزشی در کشور، مطالعات روانشناسی و علوم تربیتی، شماره ۳، ص ۱۰۱-۱۱۴.
۲۸. نجمی، محمد صادق (۱۳۷۵). پیام عاشورا، قم، جامعه مدرسین حوزه علمیه قم دفتر انتشارات اسلامی
۲۹. نصر، حسین (۱۳۸۴). علم و تمدن در اسلام، ترجمه احمد آرام، تهران، علمی و فرهنگی.
۳۰. النوری، حسین (۱۴۰۸). مستدرک الوسائل، بيروت، انتشارات آل البيت لاحیاء التراث.